

لقاء مراكز الرجاء

دير الأنبا برسوم العريان بالمعصرة / حلوان

الخميس ٢٠١٠/٩/٣٠



محاضرة عن الشفاء فى المسيحية

بقلم الأنبا بيشوى

مطران دمياط والبرارى

الآباء والإخوة والأخوات الأحباء فى المسيح

أعذر عن عدم الحضور وأطلب صلواتكم عن ضعفى، وأرسل تحيتى وشكرى لجميع الحضور ولنيافة الحبر الجليل الأنبا بيسنتى الذى استضاف هذا اللقاء ولجميع من ساهموا فى نجاحه..

الله لا يقود العالم بالمعجزات بل بالقوانين التى وضعها هو نفسه بحكمته لى تكون نظاماً للخلقة؛ مثل قانون الجاذبية بين الأجسام وقانون القوة الطاردة المركزية، وقانون الضغط الأوزموزى، وقوانين الطاقة، والسرعة، والضغط، والحرارة، والثرموديناميكا، وانتقال الحرارة، والكثافة، واللزوجة، وقوانين الديناميكا والإستاتيكا، والضوء، والصوت، والنظرية النسبية، وعلاقة الكتلة بالطاقة، وسرعة الضوء، والتوصيل والحمل، والإشعاع، وعلاقة الذرة والجزئ، والمدارات المحيطة بالنواة فى الذرة، وتكوين النواة فى الذرة والإلكترونات المحيطة بها، وسريان الإلكترونات، وعلوم الكهرباء، والإلكترونيات، والموجات الكهرومغناطيسية، والأشعاعات: مثل ألفا α وبيتا β وجاما γ ، وقوانين الهيدروليكا، والإيروديناميكس، وقوانين الطيف الضوئي.

نظام العالم يدل على وجود خالق قد نظم الكون بهذا النظام البديع ومنح الحياة للكائنات الحيّة "أُمُورُهُ غَيْرُ الْمُنظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ قُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلَا هَوْتُهُ" (رو ١: ٢٠). فالخلقية هي من معجزات الله كخالق قدير يدير العالم بالقوانين.

ولكن المعجزة هي الإستثناء وإلا ما حسبت معجزة. فالسيد المسيح كان يمشى بصورة طبيعية على الأرض ولكنه حينما مشى على الماء فهذه معجزة تتخطى قوانين الطبيعة. ومباركة الخمس خبزات وسمكتين وإشباع آلاف البشر فى الجموع هو شئ خارق للطبيعة. وفى شفاء مفلوج بركة بيت حسدا بعد ثمانية وثلاثين عاماً وهو غير قادر على المشى والحركة هو أمر يفوق كل الأنظمة الطبيعية.

ولكن فى أوقات أخرى كثيرة كان السيد المسيح يترك القوانين الطبيعية هي التي تسرى. مثل وقوعه تحت ثقل الصليب فى طريقه نحو الجلجثة، وفى نموه التدريجى على مدى ٩ شهور فى الحبل المقدس به فى بطن السيدة القديسة مريم والدة الإله فإنه كان ينمو جسدياً مثل أى طفل فى رحم أمه وهو بلا خطية على الإطلاق.

حسب تعليم السيد المسيح المعجزة تستلزم الإيمان ولكن حتى مع وجود الإيمان لا يتم الشفاء بمعجزة فى جميع الأحوال لأننا لا نستطيع أن نجبر الله أن يعمل المعجزات ولكنه يعملها بحسب مقاصده وتدابيره الإلهية "لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ" (لو ٤ : ١٢).

بولس الرسول مثلاً تضرع إلى الرب ثلاث مرات من جهة شوكة فى الجسد لكى تفارقه لأنها تسبب له ألماً جسمانياً فقال له الرب "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ" (٢كو ١٢ : ٩).

الرب يستجيب لصلاتنا بالأسلوب الذى فيه منفعتنا لذلك نصلى ونترك له اتخاذ القرار قائلين "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ" (مت ٦ : ١٠).

لهذا فالإيمان لا يتعارض مع استخدام العلاج فى المسيحية سواء بالعقاقير أو بالعمليات الجراحية حتى نقل وزراعة الأعضاء.

ولكن الطب رسالة لا ينبغي أن تكون وسيلة للإستثمار وطلب الغنى لأن وصية محبة القريب "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت ٢٢ : ٣٩) تقف أمام هذا التوجه.

التجارة بالأعضاء شئ غير مرغوب فيه. ولكن الغنى عليه أن يساعد فى إطار القانون الفقير الذى تبرع له بعضو من أعضائه. الشركة فى المسيحية هى من أهم المبادئ التى مارستها الكنيسة فى العصر الرسولى وكانت سبب بركة للجميع "وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ. إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجًا" (أع ٤ : ٣٣ ، ٣٤). ونلاحظ "إذ" السببية للنعمة الممنوحة.

بعض الأشخاص كتبوا شيكات بدون رصيد لينالوا العلاج لهم أو لأقربائهم وتعرضوا لمخاطر السجن. هذا شئ ليس من المفروض أن يحدث ومن واجب الرعاية والخدام فى كل مكان أن يتداركوا هذه الأمور.

الطب يتقدم بسرعة ولكن هناك أشياء يجب مراعاتها وتسمى بأخلاقيات الطب، والقيم الأخلاقية moral issues أو ethics ومن ضمن هذه الأشياء وسائل الإنجاب التى ينبغي أن تحرص على كل بويضة ملقحة كجنين، وكذلك عدم استخدامها لغير الوالدين الحقيقيين. وكذلك مراعاة عدم الإجهاض حتى بحجة احتمال تشوه الجنين الذى من حقه أن ينال العمداد بعد ولادته.

أما عن "الموت الرحيم" فنحن لا نقبله على الإطلاق بدعوى تخفيف الآلام عن المريض ولكننا علينا أن نحيطه بالعناية الروحية والتسابيح والمزامير والصلوات وآيات الكتاب المقدس "أَنَّ آلامَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لَا تَقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا" (رو ٨ : ١٨). ولكن الموت يحدث حينما يموت المخ بمعنى أن الموجات الكهربائية فيه تكون صفرًا مؤكدًا وفى هذه الحالة لا ينبغي الاستمرار فى استخدام التنفس الصناعى والمحاليل.

وبالنسبة للأطفال فى أجهزة الحضانات يجب عمادهم بمعمودية الضرورة إذا كانوا فى خطر الموت ويقوم بالعماد الأب الكاهن أو الأب أو الأم أو أحد الأقرباء حسب الحاجة حتى ولو كان بسرنجة ماء مقطر ثلاث دفعات [أعمدك يا (فلان) باسم الآب والابن والروح القدس] وإذا عاش الطفل بعد ذلك يتم رسمه فى الكنيسة بالميرون ويحتفل به هناك.

وقد لاحظت كثرة علاجات وكذلك عمليات زرع الكبد وزرع الكلى فى السنوات الأخيرة. وهى تتكلف مبالغ كبيرة جداً، يتحمل جزء كبير منها مركز الرجاء. لذلك أرى أن القنوات الفضائية القبطية الأرثوذكسية وكل وسائل الإعلام التابعة للكنيسة عليها واجب تغطية دعم المساهمة لمراكز الرجاء خاصة التى تقوم بالصرف على كثير من مرضى الكبد والكلى.

كذلك العناية بمرضى السرطان سواء بالعمليات الجراحية أو بالعلاج الكيماوى أو الإشعاع الذى يحتاج إلى مصاريف كثيرة ومبالغ طائلة.

والكنيسة من أهم بنود رسالتها هو العناية بالمرضى مثلما قال السيد المسيح "كنت... مريضاً فزُرْتُونِي". (مت ٢٥ : ٣٦). ونلاحظ أن السيد المسيح اهتم جداً بالتعليم مثل الموعظة على الجبل، ولكنه أيضاً "وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ.. وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ" (مت ٤: ٢٣) "فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرَضَاهُمْ" (مت ١٤ : ١٤) "فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلَفَةٍ وَالْمَجَانِينِ وَالْمَضْرُوعِينَ وَالْمَقْلُوجِينَ فَشَفَاهُمْ" (مت ٤ : ٢٤).

والى جوار ذلك اهتم بإشباع الجموع الذين لم يكن معهم طعام. لذلك فالمشروعات والمباني الكنسية وحتى بناء الكنائس لا ينبغي أن تستنفذ كل أموال الكنيسة بل يجب أن تساعد الكنيسة جميع المحتاجين ولا تكنز الأموال، وتقوم بتشجيع الأغنياء على العطاء.

وإننا نشكر الكنائس الغنية التى يقوم فيها بعض الآباء الكهنة وجماعات من الخدام والخدامات بخدمة المناطق العشوائية والقرى المحتاجة. وأتذكر فى ذلك أن أول عظة ألقيتها كخادم فى حياتى كانت فى منزل قروى فى منطقة عزبة دنّا بالأسكندرية التى كانت تابعة لخدمة كنيسة مار جرجس فى باكوس. وفى صوم السيدة العذراء هذا العام ألقى العظة فى كنيسة العذراء والقديس أثناسيوس فى نفس هذه المنطقة وهى من أكبر الكنائس التى شاهدها فى حياتى. وهكذا تنمو الخدمة بنعمة السيد المسيح.